لا توجد أعضاء بدون أهمية

الأب أنتوني م. كونيارس

لا توجد أعضاء بدون أهمية:

لا توجد أعضاء بلا أهميَّة، أو غير ضروريَّة في الجسد البشري. يُمكن للإنسان أنْ يُمسِك بيديه ويُعالج ببراعة، ويعمل واجبات كثيرة يوميًّا بهما، ولكن هذا يتمُّ فقط بإبهام يده الصَّغير غير الجذَّاب. حاول أنْ تلتقط أيَّ شيء بدون الإبهام. حاول أنْ تتَّزن في وقفتك بدون أنْ تستخدم أصابع قدمك التي تبدو كما لو كانت ذميمة.

كلُّ عضوٍ في الجسم يعمل لصالح الجسم كلِّه. العين تبصِر لصالح كلِّ الجسم، وهكذا اليد. الأسنان تمضُغ الطعام لصالح كلِّ الجسم، وهكذا المعدة تهضم الطَّعام لصالح كلِّ الجسم؛ وهكذا بالمثل القلب والكُلْيتان والكبد والطُّحال والمرارة... إلخ. الكلُّ يعمل كفريق واحد لصالح كلِّ الجسم، فلا يوجد عضو واحد يعمل أيَّ شيء بمعزل عن الآخَرين، ولكن الكلُّ يعمل في شركة koinonia. خَلَقَنا الله لا لنكون غير مُعتمدين على بعض، بل مُعتمدين على بعض. خلقنا الله لا لنكون جماعة أفراد مُنعزلين، ولكن أعضاء في شركة، جماعة مؤمنين مُعتمدين عليه أوَّلاً وعلى بعضنا البعض.

كلُّ خليَّة في الجسم لها وظيفتها المعيَّنة، ولكنها تعمل في تآزر مع كلِّ خليَّة أُخرى. الخلايا التي تُصمِّم ألاَّ تعتمد على الخلايا الأُخرى وفي استقلاليَّة هي الخلايا السَّرطانيَّة، ونموُّها غير المنضبط يؤدِّي بالجسم إلى الوفاة.

يشرح القدِّيس يوحنا ذهبي الفم St. John Chrysostom كيف يعمل الجسد في وحدة فيقول:

> [خلق الله كلَّ النَّاس روحيًّا متساوين، وكلُّ شخص له نفس الميل والنَّزعة للخير أو للشرِّ، وكلُّ شخص له نفس الاختيار ليطيع الله أو يتحدَّاه؛ ومع ذلك، ففي

كيفيَّة أُخرى نحن غَير متساوين، فبعض النَّاس أذكياء جدًّا، بينما آخَرون ذكاؤهم ضعيف؛ بعض النَّاس أقوياء طبيعيًّا وأصحَّاء؛ بينما آخَرون ضعفاء ومعرَّضون للمرض؛ بعض النَّاس نراهم جذَّابين ووسيمين، بينما البعض بلا جمال. أولئك الذين أخذوا مواهب وعطايا بطريقة ما، لا يجب عليهم أنْ يحتقروا الذين نالوا أقلَّ منهم، بل على العكس، فإنَّ الله قد وزَّع المواهب والبركات بطريقة تجعل لكلِّ شخص مكانًا معيَّنًا وهدفًا في المجتمع، وهكذا يكون لكلِّ واحد بالتَّساوي ضرورة ليعمل في المجتمع. لذلك ليس عليك أنْ تستاء مِن حقيقة أنَّه يوجد البعض أكثر ذكاءً أو قوَّة عن الآخَرين؛ بل على العكس أُشكر الله على ذكائهم وقوَّتهم التي تستفيد أنتَ شخصيًّا منها، وبعد ذلك اسأل نفسك: "ما هي موهبتي، وأين مكاني إذن في المجتمع؟" بعد أنْ تجيب على هذا السُّؤال، وتعمل بحسب إجابتك، فكلُّ امتعاض واستياء سيتلاشى].

إنْ كنتُ قَدَمًا في جسد المسيح، ولكن أُحاول أنْ أعمل عمل اليد، فلن أكون قد عملتُ ما يطالبني المسيح أنْ أعمله، والنتيجة أنَّ باقي أعضاء الجسم ستتأذَّى وتُعاني.

استجابة فوريَّة:

عندما يصطدم أصبع القدم بحَجَر، فإنَّه يُرسِل استغاثة للأكسجين وكرات الدَّم الحمراء في بقيَّة الجسم. لنفترض أنَّ القلب يقول: "إنَّني أتضايق وأنزعج بهذه الأمور التَّافهة، ويقول إنَّه يمكننا أنْ نستمرَّ في الحياة بدون هذا الأصبع الصَّغير، وأنا مِن الأهميَّة بدرجة لا تسمح لي بالانشغال بهذا الأصبع الصَّغير، إذ يجب عليَّ أنْ أصون وأحتفظ بطاقتي وقوَّتي للأمور الضَّروريَّة"، ومِن ثمَّ يحدث أنَّ هذا العُضو يموت ويُبتر. وافترض أنَّ هذا القلب، العضو المركزي في الجسم يستمر في هذا التصرُّف الأناني ممَّا يترتَّب عليه موت عضو وراء الآخَر، ماذا ستكون النَّتيجة؟ مِن الطَّبيعي أنَّ القلب نفسه سيموت، إذ لا يمكنه أنْ يعيش بنفسه، لأنَّه إنْ ماتت جميع الأعضاء التَّابعة، فالقلب سيفقد معناه ويموت، لأنَّه ليست له الكفاءة ليعيش بمفرده، فالقلب يجد مكانه ومعناه عندما يقوم بخدمة باقي الأعضاء. هل رأيتَ مِن قبل في عمليَّة جراحيَّة قلبًا وقد فُصِل مِن الجسم وهو ينبض على ترابيزة العمليَّات. إنَّه منظر سيِّء جدًّا، لأنَّه ليس هذا ما وُجِد القلب ليكون عليه. هذه صورة دقيقة لأيِّ عضو في الكنيسة يظنُّ أنَّ في إمكانه (إمكانها) أنْ

يعيش بدون أعضاء الجسد الأُخرى. الكنيسة سيمفونيَّة وليست عزفًا منفردًا. الكنيسة هي شراكة بين أعضاء متعاونين. لا يوجد في أسرار الكنيسة شيءٌ منفصلٌ فرديًّا، ولكن شخص في علاقة، في المعموديَّة وفي الإفخارستيًّا مع الله ومع الأشخاص الآخَرين[1].

أهميَّة التنوُّع

يُوضِّح المطران جون زيزيولاس (Metropolitan John of Pergamon Zizioulas) أهميَّة التنوُّع في حياة الكنيسة بناءً على (١كو ١٢) فيقول:

"كلُّ عضوٍ في الجماعة لا غِنَى عنه، وهو يحمل مواهبه (مواهبها) للجسد الواحد. هناك احتياج لجميع الأعضاء، ولكن ليست جميع الأعضاء متماثلة؛ الاحتياج للأعضاء ضرورة بسبب أنَّها مُختلفة، وقد يحوي اختلافات طبيعيَّة واجتماعيَّة، وأيضًا روحيَّة. وعلى المُستوى الطَّبيعي أيضًا توجد اختلافات في السُّلالة والجنس والسِّن، وجميع الاختلافات يجب أنْ تُضمَّ في اختلاف مواهب الشَّركة. لا يجب أنْ يُستبعد أحد بسبب الاختلاف في الجنس أو السُّلالة أو السِّن.

هذا حقيقي أيضًا بخصوص الاختلافات الاجتماعيَّة: غَني وفقير، قوي وضعيف، والكل يجب أنْ يجد مكانه في الجماعة. نفس الشَّيء يجب أنْ يقال بخصوص الاختلاف في المواهب الروحيَّة. ليس الجميع في الكنيسة رسلاً، وليس الجميع مُعلِّمين، وليس للجميع مواهب شفاء؛ ومع ذلك فالجميع في احتياج بعضهم لبعض. الاعتداد بالمكانة الروحيَّة الذي أدانه القدِّيس بولس في كنيسة كورنثوس لم يتوقَّف في أنْ يجرِّب الكنائس، إذًا فيجب استبعاده مِن مفهوم الشَّركة الكنسيَّة"[2].

لا توجد طبقية روحية في جسد الكنيسة:

ما قاله المطران جون زيزيولاس عن عدم وجود طبقية روحية يعتمد على حقيقة أنَّ الكنيسة الأرثوذكسيَّة ليست قائمة على الدرجات الرِّئاسيَّة فقط، بل هي أيضًا مجمعيَّة. يُعبَّر

(1) *The Journey Into God.* Kenneth L. Bakken.Augsburg Public. Co. Mpls.MN 2000.

(2) *The Church as Communion*. SVTGQ38. 1994. 3-16,8

عن نوعيَّة الطَّبقات الروحانيَّة بالاعتقاد الخاطئ أنَّ البطاركة والأساقفة هُم فقط المحتاج إليهم في إدارة وتوجيه جسد المسيح، الكنيسة، وأنَّ بقية الإكليروس والعَلمانيِّين لا دور لهم إيجابي، دوْرهم دورٌ سلبيٌّ فقط؛ ولكن كما يقول بولس الرَّسول، إن جاز إعادة صياغة الآية إنَّه ليس الجميع بطاركة، ليس الجميع مطارنة، ليس الجميع أساقفة، بل يوجد جمهور كبير مِن أشخاص آخَرين يكوِّنون جسد المسيح. لهذا السَّبب نحن نؤمِن أنَّ الكنيسة ليست مُرْتبطة بالدَّرجات الرِّئاسيَّة فقط، بل أيضًا هي مجمعيَّة، وهذا يعني أنَّ كلَّ معمَّد وأنَّ كلَّ ممسوح بالميرون في جسد المسيح له دورٌ فعَّالٌ يقوم به في إدارة وتوجيه الكنيسة. قال الآباء البطاركة (اليونان) في اجتماعهم عام ١٨٤٨م: "العَلمانيُّون حُرَّاس الإيمان. لا يوجد نوعٌ مِن الانفرادية الرِّئاسيَّة في جسد المسيح، وكما يقول القدِّيس بولس:

«وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجَسَدُ الْمَسِيحِ، وَأَعْضَاؤُهُ أَفْرَادًا. فَوَضَعَ اللهُ أُنَاسًا فِي الْكَنِيسَةِ: أَوَّلًا رُسُلًا، ثَانِيًا أَنْبِيَاءَ، ثَالِثًا مُعَلِّمِينَ، ثُمَّ قُوَّاتٍ، وَبَعْدَ ذلِكَ مَوَاهِبَ شِفَاءٍ، أَعْوَانًا، تَدَابِيرَ، وَأَنْوَاعَ أَلْسِنَةٍ. ألعلَّ الجميع رسلٌ؟ أَلَعَلَّ الْجَمِيعَ أَنْبِيَاءُ؟ أَلَعَلَّ الْجَمِيعَ مُعَلِّمُونَ؟ أَلَعَلَّ الْجَمِيعَ أَصْحَابُ قُوَّاتٍ؟ أَلَعَلَّ لِلْجَمِيعِ مَوَاهِبَ شِفَاءٍ؟ أَلَعَلَّ الْجَمِيعَ يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ؟ أَلَعَلَّ الْجَمِيعَ يُتَرْجِمُونَ؟» (١كو ١٢: ٢٧ – ٣٠).

انفراد الدَّرجة الرِّئاسيَّة يعني كما لو كانت المِعْدة تقول لباقي أعضاء الجسد: "لا حاجة لي إليكم، لا مكان لكم في جسد المسيح". تنوُّع المواهب موجود في كلِّ الجسد، الكهنوت والعَلمانيِّون.

وبحسب كلمات الأب بول إيفدوكيموف Paul Evdokimov:

"الكنيسة دائمًا تعاونيَّة مجمعيَّة sobornal**. السُّلطة في الكنيسة ليست على الإطلاق مِن فوق، مِن أعلى، يسيطر عليها رجال الكهنوت، ولكن مركزها هو المسيح، وهي تنتعش بحيويَّة بالرُّوح القُدُس، في جماعة دائمًا تشمل الرُّعاة والشَّعب. هويَّة الكنيسة وحقُّها يُعبَّر عنه جيِّدًا في الجماعة الإفخارستيَّة"**[٣].

وكلمات الأب توماس هوبكو Fr. Thomas Hopko توضِّح الموضوع، فيقول:

"الكنيسة مجمعيَّة... يُحاسَب فيها العَلْمانيُّون مِن الإكليروس، وهؤلاء

(3) *L'Orthodoxie*,123-66.

بدورهم يُحاسَبون مِن العَلْمانيِّين. بحسب طبيعة الحياة المسيحيَّة الدَّقيقة، لا يوجد انقسام بين ديني ودُنيوي، روحي ومادِّي، كاهن وعَلْماني، فكلُّ شيء يُعمل بواسطة الله ولأجل الله؛ وبنعمة الله وقوَّته، فإنَّ جميع أعضاء الجسم تعمل معًا، كلٌّ يقوم بدوره (أو دورها) بحسب مكانه (أو مكانها) ودعوته وخدمته"[٤].

احتجاج أعضاء الجسد:

نُلقي نظرة على المقطوعة الشعريَّة المُمَيَّزة التَّالية والمُعَنْوَنة: "*احتجاج أعضاء الجسد*":

"أنا قدمٌ ومع ذلك عظيم،
فمن يُريد أنْ يكون يدًا؟

أنا يدٌ لها مهارتها وجمالها،
ولن أُساوم بمكاني أبدًا.

أنا عينٌ وأُبصِر،
وكلُّ عضو يريد أنْ يكون مِثلي،
لكن، لا يجب أنْ يكون أحدٌ مثلي.

أنا رُكْبة شديدة وقويَّة.

أنا فم، يخرج منِّي صوتٌ جميل،
وأنا مميَّز مِن جميع الأعضاء،
ودون كلِّ الأعضاء أنا الأفضل، بل ومَن يستطيع الكلام؟

أنا رِجْل، وأحبُّ المشي،
مُمكن للرِّجْل أنْ تمشي، ولكن هل يمكنها أنْ تسمع؟
وإلاَّ فيجب أنْ تكون أُذُنًا!

ولكنَّك لا تستطيع أنْ تشمَّ عن طريق أيٍّ مِن تلك الأعضاء.

إذا كنتَ تريد أنْ تشمَّ، يجب أنْ يكون لك أنْفٌ.

---

(4) *Speaking the Truth in Love.* Thomas Hopko. SVS Press. Crestwood, N.Y. 2004.

كلُّ عضوٍ يَظُنُّ أنَّه الأفضل،

ويحتقر باقي الأعضاء.

مَن يستطيع أنْ يودي بافتخارهم؟

ومَن يستطيع أنْ يكون مُرشدًا لهم؟"

(S. Spencer)

«وأمَّا أنْتم فجسد المسيح، وأعضاؤه أفرادًا» (١كو١٢: ٢٧).

أَقْيَم لاعب

قارن الاتِّجاه السَّابق باتِّجاه "جو كاب Joe Kapp"،فقد حدث أنْ أُعْلِنَ أنَّ جو كاب الظَّهير الخلفي هو أفضَل لاعب في فريق الفايكنج في ولاية مينيسوتا في أمريكا، وفي حفل عشاء طُلِب أنْ يتقدَّم جو كاب ليأخذ الجائزة، ولكنَّه رفض التقدُّم إلى المنصَّة، بل اقترب قليلًا وقال: "كلُّ عضوٍ في الفريق هو أفضل لاعب، لأنَّه لا يُمكن لأحد في الفريق أنْ يتفوَّق دون الآخَرين"، وعاد إلى مقعده فيما كانت الجائزة لا تظلُّ في يد مقدِّمها.

أليس هذا هو نفس ما يقوله بولس الرَّسول عندما يتحدَّث عن الكنيسة، جسد المسيح؟

في الفريق الرُّوحي، لا يبحث الفرد عن بلوغ كماله الفردي، ولكن مِن أجل منفعة كل المجموعة أو الجسد. أولئك الذين يمارسون لعبة كرة السلَّة يعرفون جيِّدًا أنَّه قد يكون في رغبة اللاعب أنْ يرمي الكرة في السلَّة في كلِّ مرَّة تصل إليه ليحصل على عدد نقاط أكبر، ولكن قد يحدث نتيجة هذه الأنانيَّة أنْ يخسر الفريق ككلٍّ المباراة.

إنْ تألَّم عضو، فباقي الأعضاء تتألَّم معه

هذه الآية يمكن توضيحها بطريقة جميلة مِن خلال القصَّة التَّالية، والتي تبيِّن كيف أنَّ جميع أعضاء الجسم تعمل معًا لينال العضو المتألِّم في الجسد الشِّفاء، وهذه القصَّة حدثت منذ عدَّة سنوات في أولمبياد سيتل Seattle Olympics:

قصَّة:

تجمَّع عشرة أفراد مِن المُشتركين في المباراة، وكلُّهم مرضى ذهنيًّا أو بدنيًّا عند نقطة البداية في سباق الـ ١٠٠ متر، وعند صفارة الابتداء جرى الجميع آملين الوصول إلى النِّهاية والفوز.

ولكن حدث أنْ تعثَّر أحد المتسابقين على الأسفلت وأخذ يتشقْلب عدَّة مرَّات ثمَّ أخذ يصرخ. سمع الآخَرون زميلهم وهو يصرخ، فأبطأوا في الجري ثمَّ توقَّفوا وعادوا إليه، عاد الجميع. تقدَّمت إحدى الفتيات، والتي تُعاني مِن مرض داون Downs Syndrome وانحنت عليه وقبَّلته وهي تقول: "هذه ستجعلكَ أفضل"، وتقدَّم العشرة وأياديهم متماسكة وأخذوا يتقدَّمون نحو نقطة النَّهاية.

وقف جميع المتفرِّجين المتواجدين في الإستاد وظلُّوا يهْتفون لمدَّة عشر دقائق متوالية.

«فَإِنْ كَانَ عُضْوٌ وَاحِدٌ يَتَأَلَّمُ، فَجَمِيعُ الأَعْضَاءِ تَتَأَلَّمُ مَعَهُ. وَإِنْ كَانَ عُضْوٌ وَاحِدٌ يُكَرَّمُ، فَجَمِيعُ الأَعْضَاءِ تَفْرَحُ مَعَهُ» (١كو ١٢: ٢٦).

ومع أنَّه لدى الأعضاء مواهب مختلفة، إلاَّ أنَّ بعضها خفي وبعضها ظاهر جدًّا؛ وبعضها يبدو كما لو كان يقوم بكلِّ العمل، بينما الآخَر يبدو أنَّه لا يؤدِّي أيَّ عمل، وهذا يحقِّق قول بولس الرَّسول: **«لكِنَّ اللهَ مَزَجَ الْجَسَدَ، مُعْطِيًا النَّاقِصَ كَرَامَةً أَفْضَلَ، لِكَيْ لاَ يَكُونَ انْشِقَاقٌ فِي الْجَسَدِ، بَلْ تَهْتَمُّ الأَعْضَاءُ اهْتِمَامًا وَاحِدًا بَعْضُهَا لِبَعْضٍ»** (١كو ١٢: ٢٤و٢٥).

ليس واحد، ولكن كثيرون يحملون الكرة

حدث ذات يوم أنْ أدَّى فريق مِن فِرَق كرة قدم أداءً سيِّئًا، ممَّا اضطرَّ المدرِّب أنْ يُعْطي تعليماته للفريق أثناء المباراة مِن خارج الملعب. صاح المدرِّب: "أعطِ الكرة لجون"، وكان جون على بُعد عشرة أمتار مِن المرمى، ولكنَّه فشل في إصابة الهدف. ومرَّة ثانية صاح المدرِّب: "أعطِ الكرة لجون"، وكان جون هذه المرَّة على بُعد خمسة أمتار مِن المرمى، ولكنَّه فشل أيضًا في إصابة الهدف. وفي مرَّة ثالثة قال المدرِّب: "أعطِ الكرة لجون"، ولكن كان كلُّ خط دفاع الفريق الآخَر محيطًا بجون، ففشل في إصابة الهدف.

الحياة المؤثِّرة في جسد المسيح تحتاج أنْ: "يحمل كثيرون الكرة"، وليس جون كلَّ الوقت. ليس مِن الصَّواب الاعتماد على عضوٍ واحدٍ في الفريق، أكان بطريركًا، أو مطرانًا، أو أسقفًا أو كاهنًا، أو شماسًا، أو عَلمانيًّا ليقوم بكلِّ العمل، ويقوم بمفرده بالتَّفكير والتَّدبير. الروحانيَّة الكنسيَّة لا تعتمد على طبقة معيَّنة.

(يتبع)